مجلة العلوم القانونية و الاجتماعية

Journal of legal and social studies

Issn: 2507-7333

Eissn: 2676-1742

العمامة في بلاد أولاد نايل رمز للهوية والمقاومة الثقافية

The turban in Ouled Naïl region as a symbol of identity and cultural resistance

بوعكاز عيساوي *

جامعة زيان عاشور-الجلفة، (الجزائر)، bouakaz.aissaoui@gmail.com

تاريخ ارسال المقال: 2022/09/10	تاريخ القبول: 2023/02/15	تاريخ النشر: 2023/03/01

*المؤلف المرسل

الملخص:

تهدف هذه الورقة الى القاء الضوء على أحد أشكال التراث الملبسي الرجالي ألا وهي العمامة التي لاتزال تلبس ببلاد أولاد نايل كرمز للهوية والمقاومة الثقافية، فعلى مر الزمن منذ الفترة العثمانية و الفترة الاستعمارية وبُعيد الاستقلال وحتى وقتنا الحالي ظلت العمامة صامدة على الرغم من تحديات العولمة ومغريات الحداثة والصراع القيمي لدى الشباب.إن إدراك أي شعب لتراثه يعني إدراكا للهوية،وما تمسك الرجل في بلاد أولاد نايل بتراثه الملبسي عموما والعمامة خصوصا إلا تعبير عن خالص عن المقاومة الثقافية وتجسيد أحد مقومات الشخصية الوطنية الجزائرية العربية.

الكلمات المفتاحية: التراث الملبسي؛العمامة ؛ بلاد أولاد نايل؛ المقاومة الثقافية

Abstract:

This paper aims to highlight on one of the forms of men's traditional outfits, which is the turban, it is still worn in Ouled Naïl region as a symbol of identity and cultural resistance. From the Ottoman period, the colonial period, and after independence, and even until the present time, the turban has remained steadfast despite the challenges of globalization, the temptations of modernity, and the value-conflict among young people. A people's awareness of their heritage means awareness of identity. Hence, Man in Ouled Naïl Region clings to his traditional outfit in general, and the turban in particular; it is a sincere expression of cultural resistance and the embodiment of one of the elements of the Algerian Arab national character personality.

Keywords: Traditional outfits; The turban; Ouled Naïl region; cultural resistance

مقدّمة:

يعد التراث الملبسي أحد أوجه التراث الثقافي اللامادي وشكلا من أشكال الهوية والذي يميز كل شعب عن الآخر، غير أن هذه الملابس والأزياء التراثية وعلى مرّ التاريخ شهدت ولاتزال تغييرات سواء في التصاميم وطرق اللبس والمواد المستعملة في نسيجه والزخارف التي تنفذ عليه، كما أنها تتعرض لعدة مخاطر قد تعجّل باندثارها وتوقف الناس عن لبسها مع ظهور تحديات العولمة ومغريات الحداثة والصراع القيمي لدى الشباب وصراع الأجيال من جهة، ومن جهة أخرى فأنّ هناك سطو وتهافت على تصنيف بعض النماذج والألبسة التي استمرت في لبسها الخاصة بمنطقة معينة ونسبها لمناطق أخرى .

وتكتنز الجزائر تراثا ملبسيا غنيا رجاليا كان أم نسائيا نتج عبر فترات تاريخية متنوعة بتأثيرات مختلفة، كما أسهم في هذا الغنى شساعة هذا البلد القارة والكبير جدا مساحة والمتعدد أعراقا والكثير أقاليما ومناخا. وفي العشريتين الأخيرتين تراجع هذا التراث الملبسي مع وجود ألبسة عصرية وظيفية أكثر تساير الحداثة وتواكب "الموضة" لذا جاءت هذه الدراسة لتعيد توثيق لباس الرأس الذي هو جزء من الأزياء التراثية الرجالية الخاصة بمنطقة أولاد نايل التي لازالت ترتدى الى أيامنا هذه وهي العمامة.

ويمكننا تحديد اشكالية الدراسة كالتالي: كيف استمر ارتداء العمامة في منطقة أولاد نايل على تقهرقها مؤخرا؟ ومامستقبل هذا التراث الملبسي وسط هذا الغزو الثقافي الذي يهدف الى طمس الهوية وخلق فرد عالمي ؟

نروم في هذه الدراسة الى وصف العمامة أحد أجزاء اللباس الرجالي في بلاد أولاد نايل وأنواعها الخاصة بالمنطقة والفئات التي لازالت ترتديه عبر وكذا التطرق عوامل بقاء ارتداءها و توقع مستقبل العمامة وسط زخم البدائل العصرية.

2- العمامة عبر التاريخ:

عِمامة [مفرد] : ج عِمامات وعمائم وعِمام : ما يُلفُّ على الرأس "لبس العمامة" ، أرخى عمامته : أمن واطمأن وترفه . من الفعل اعتم يعتم ، اعتمم / اعتم ، اعتماما ، فهو معتم• اعتم الرجل : تعمم ، لبس العمامة [1].

و تعرف العمامة على أنها اسم لما يعقد على الرأس ويلوى عليه من صوف أو قطن أو كتان أو نحو ذلك سواء كانت تحته قلنسوة، أو لم تكن.[2]

- **2-1 ظهور العمامة:**

تختلف الأراء حول أوائل من لبس العمامة لكنه لم يتم تحديد بداية ظهور العمامة بالضبط ولأي حضارة ترجع لكن أقدم الشواهد الأثرية تؤكد أن بلاد الرافدين من أقدم الأمم التي عرفت العمامة حيث نجد تمثال رأسي من الألباتر لملك أكادي ذو عمامة، وهذا التمثال يعود الى القرن 24 ق.م من منطقة أداب ببلاد الرافدين " بسماية " حاليا في العراق عثر عليه في حفرية ومعروض حاليا في المتحف الجامعي بجامعة شيكاغو.[3] (انظر الصورة 1)كما أن هناك تمثال لـ"جوديا"أحد ملوك السومريين لسلالة "لكش" وهو معروض بمتحف اللوفر (انظر الصورة 2)تمثال معروض حاليا في متحف الميتروبوليتان للفنون بنيويورك أمريكا من سبائك النحاس البرونز لما يبدو أنه حاكم أو ملك مرتديا عمامة ويؤرخ الى الفترة من القرنين 22 و 23 ق.م. [4] (انظر الصورة 3)

والأكيد أن هناك أمم لبست العمامة بأشكال وألوان مختلفة مثل الهندوس والسيخ ، و المغول والفرس وحتى الأفارقة والهنود الحمر ، كما اشتهر العرب بلبس العمامة في الجاهلية والاسلام.

- **2-2 العمامة العربية:**

أ-في الجاهلية:

اتسمت حياة العرب في الجاهلية بالبساطة في مختلف مناحي الحياة، في المسكن والطعام وطرق العيش، وقد تجلت البساطة أكثر في اللباس الذي تكون من قميص وحلة وأزار وشملة وعباءة وعمامة وثيابهم قصيرة الى أسفل الركبة وكانت الأنسجة من الصوف والقطن[5]. وقد عرف عن العرب لبسهم العمامة وخاصة الوجهاء والسادة بينما ظل بقية الأفراد مكشوفي الرأس، وهنا نستذكر ما قاله عمر بن الخطاب "العمائم تيجان العرب" فهي بمثابة التيجان بالنسبة للملوك[6]. واعتبرها العرب في الجاهلية زينة للرأس ووقاية له من الأذى، كما كان الفرسان يتقنعون ويتلثمون بالطرف الزائد منها عندما ينزلون الجموع والمواسم كأيام عكاظ وذي المجاز حتى لا يعرفهم عدو أو طالب ثأر فينتقم منه[7] كما اتخذوها لواء عند الحرب، فينزع سيد القوم عمامته ويعقدها لواء.

ب-في الاسلام:

من الراجح أن اللباس بمختلف مسمياته الذي لبسته العرب قبل الاسلام استمر لما بعد الاسلام مع أن الطارئ هو الضوابط الأخلاقية التي تحكمه والتي حددها الاسلام[8]، ولما كانت العمامة من صفات العرب وخاصة أشرافهم وسادتهم فقد لبسها النبي صلى الله عليه وسلم ووردت أحاديث نبوية فيها أكّدت على العمامة والحث على لبسها وإكرامها، بل إن الرسول صلى الله عليه وسلم كنّي "صاحب العمامة[9]، بل أن العمامة كما جاء في كثير من

الرويات أنها كانت من لباس الملائكة يوم بدر حيث أن الرسول صلى الله عليه وسلم أخبرهم بأن الله ارسل اليهم الملائكة وهم يلبسون العمائم البيض وقيل بعمائم سود وصفر.

مما جاء في الأثر أن الرسول صلى الله عليه وسلم لبس عمامة عرفت ب"السحاب" وقد كساها علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وكان يلبسها ويلبس تحتها القلنسوة . وكان يلبس القلنسوة بغير عمامة، ويلبس العمامة بغير قلنسوة. وكان إذا اعتم أرخى عمامته بين كتفيه، كما رواه مسلم في "صحيحه" عن عمرو بن حريث قال: (رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر وعليه عمامة سوداء قد أرخى طرفيها بين كتفيه)، وفي مسلم أيضا عن جابر بن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم (دخل مكة وعليه عمامة سوداء) ولم يذكر في حديث جابر : ذؤابة ، فدل على أن الذؤابة لم يكن يرخيها دائما بين كتفيه.

و يقال : إنه دخل مكة وعليه أهبة القتال، والمغفر على رأسه، فلبس في كل موطن ما يناسبه[10] ، وبعد الاسلام تأثر العرب بأهل الشام والعراق فلبسوا مثلهم وقلدوهم خاصة الوافدين من الأغنياء و التجار فصاروا يلبسون الخز والطيلسان والأقبية، كما قلدوا الأعاجم والفرس والروم إلا انهم حافظوا على العمامة غالبا مع تغيير في قماشها ونسيجها، وهنا نستذكر مقولة الأحنف بن قيس " لاتزال العرب عربا ما لبست العمائم وتقلدت السيوف". [11]

وقد استمر لبس العمامة في فترة الخلافة الاسلامية والدويلات والامارات التي قامت ولعل من أشهر الأبيات التي قيلت في العمامة هي ما استشهد به الحجاج بن يوسف الثَّقَفي، وقد تمثّل به عندما ولاّه الوليد بن عبد الملك على الكوفة، فبدأ به خطبته المشهورة:

أنَا ابنُ جَلَا وطَلَّاعُ الثَّنَايَا متَى أضَعِ العِمامَةَ تَعرِفُوني

وهذا البيت هو مطلع قصيدة قالها الشاعر المخضرم سُحَيْم بن وَثيل. [12]

- **2-3 ألوانها ونسيجها وطريقة لباسها:**

تعددت ألوان العمامة عند العرب عبر التاريخ فلبسوا البيضاء والحرقانية التي تميل للسواد والصفراء التي كانت تأتيهم من "هرات" خراسان لذلك يقال لمن لبسها هرى عمامته،وهناك المزبرقة أي المصبوغة بالزعفران، كما لبسوا العمامة الحمراء.

تختلف العمائم من حيث القماش والنسج ولايوجد شرط في نوع النسيج فهناك الخرق الصوفية، وهناك عمائم الفوط الملونة وهي قطع من قماش غليظ من الصوف غالبا،وهناك من الخلفاء والوجهاء من لبسها من فاخر القماش كالعمائم الوشي "المطرزة" وهناك العمائم الشرْب وهي ما رقّ من الكتان[13]

تُلفُّ العمامة حول الرأس بطرق مختلفة، وتعكس كل طريقة للتكوير الشريحة الاجتماعية والجغرافية والدينية لمرتديها،و يسمى طرف العمامة بالعذبة أو الذؤابة، أما هيئاتها فهناك الاقتعاط ويقصد به شد العمامة من غير إدارتها تحت الحنك أو هو ادارة العمامة من دون أن يتلحى بها وربما عرف الاقتعاط أكثر عند أهل المدن[14] كما أن هناك العمامة القفداء بدون عذبة أو ذؤابة، وهناك التلثم والتقنع ويختص به البدو أكثر، كما أن هناك تكوير العمامة بعدد غير محدود من اللفات حسب طول العمامة.

وقد ثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم لبسها على هيئات مختلفة متحنكاً وغير متحنك ومرخيا طرف العمامة وغير مرخ لها، وأحيانا أرخى وسدل طرف العمامة من خلفه ومرة من أمامه.

- **2-4 وظيفية العمامة ودلالاتها:**

عُدّت للعمائم فوائد جمة ولعل ما قاله أبو الأسود الدؤلي في اجابة له عن فوائدها فقال: "هي جُنَّة (وقاية) في الحرب ، ومكَنَّة (حافظة) من الحرّ ومِدْفأة من القُرّ (البرد) ووقار في النَّديّ (المجلس) وواقية من الأحداث ، وزيادة في القامة ، وهي بعد من عادات العرب "[15] وقيل لأعرابي إنك تكثر من لبس العمامة فقال : " إن شيئًا فيه السمع والبصر لجدير أن يُوَقَّى من الحرّ والقُرّ " .

ولعل للعمامة وظائف قد تبدو غريبة ولكنها وردت في قصص الرحالة فهي لتكتيف سجين أو أسير ، وأحيانا ليشد الانسان نفسه فوق شيء توقيا من السقوط ، وأخرى لخنق الانسان نفسه أو خنق سواه ، وفي الشرق ينحت شكل عمامة على شاهد القبر لتمميز قبور الرجال[16]، وهناك الذي يشد العمامة على رأسه لمرضه أو على بطنه أو ولعل أن للعمامة وهيئتها ولونها دلالات اضافة الى كونها زينة فهي تستعمل للتعبير عن وجاهة صاحبها(شيخ، إمام، كبير قوم او عرش) أو مذهبه (مسلم سني أوشيعي،هندوسي، سيخي) أو للتعبير عن هوية بلاده فمثلا هناك العمامة الحجازية والعمامة السودانية البيضاء وهناك العمامة العمانية والجزائرية والمغربية... الخ

3-العمامة الجزائرية:

لا يعرف تاريخ محدد للباس العمامة في أرض الجزائر إلاّ أنه من المرجح أنها وفدت مع الهجرات العربية القديمة من قبائل بنو هلال وبني سليم لشمال افريقيا ثم عودتها مرة أخرى لتكون مميزة بالطابع العربي الاسلامي عبر مرحلة الفتوحات الاسلامية ببلاد المغرب[17]، وقد استمر في لباسها و عرفت في كل الفترات الاسلامية التي مرت بها الجزائر ولبسها امراءها وجنودها وعرفت عند الرستميين والفاطميين والحماديين والمرابطين والموحدين والحفصيين والزيانيين والمرينيين كما لبسها العثمانيون والاندلسيون الوافدون للجزائر وتأثر بهم سكان هذه المدن.

4- أنواع ومكونات اللباس الرجالي في بلاد أولاد نايل:

يجب التنبيه بداية أن مصطح بلاد أولاد نايل تسمية جغرافية تضم المناطق التي يسكنها اتحاد قبائل أولاد نايل العربية الادريسية والهلالية المتوزعة في عمالة التيطري سابقا وهي كنفدرالية تضم أولاد سيدي نايل والسحاري الشراقة والغرابة، العبازيز والمويعدات أولاد سيدي بن علية، أولاد رحمان.

أما مناطقهم حاليا فهي الجلفة وبسكرة وأولاد جلال والأغواط والمسيلة وبوسعادة وتقرت وغرداية وجنوب المدية وشرق تيارت والبيض كما ينتشرون بشكل أقل في معظم الولايات

بعد استقصاء العديد من الشواهد والدعائم من مخطوطات ولوحات فنية صور وبطاقات بريدية اتضح أن هناك توثيق جيد ووافر حول لباس منطقة أولاد نايل، مما سمح لنا بالتعرف على أنواع اللباس الرجالي المستعملة في الفترة العثمانية والفرنسي، ومن أبرز اللوحات هي تلك التي رسمها اتيان دينيه وأوجان جيراردي وأوجان فرومنتان.

لتوصيف أدق لمكونات اللباس الرجالي في بلاد أ أولاد نايل إرتأينا تقسيمه الى ثلاثة أجزاء لباس الرأس، لباس الجسد، لباس القدم

- **4-1 لباس الرأس :**

أ- العمامة :

وتسمى محليا ب "اللحفاية" أو "الشاش" وهي في أبسط صورها قطعة قماش تلفّ على الرأس ، سواء أكان تحتها قلنسوة أو ما يسمى محليا ب" العرّاقية" (مع نطق القاف قافا حجازية أو جيما قاهرية) أو"الشاشية." وفي بلاد أولاد نائل لازال الكثير من سكانها يتوارثون لبس العمامة على اختلاف فئاتهم ومناصبهم إذ أنها تعتبر الزي الرسمي للائمة ومجالس العِلم باختلاف ألوانها بين البياض والصفرة(أنظر الصورة 4و 5)، كما أنها رمز للوجاهة والمكانة الاجتماعية. وتختلف عمائم العوام عن عمائم الفرسان والبيازة إذ ان هذين الأخيرين تسمى "القنور"(مع نطق القاف قافا حجازية أو جيما قاهرية) وتتميز بارتفاعا على الرأس مع وجود خيوط بنية أو سوداء (أنظر الصورة 6و 7)

ب- المظل:

يلبس سكان المنطقة "المظل" وهو قبعة من مادة الدوم تغطي الرأس وقد يستعمل مفردا وعادة ما يقترن بالعمامة. (أنظر الصورة 8)

- **2-4 لباس البدن" الجسد":**

لا زال سكان بلاد أولاد نائل يرتدون بعض لألبسة التقليدية على الرغم من منافسة الألبسة عصرية وابتعاد الشباب عن هويتهم وأزياء أجدادهم، فهم في طور تكوين جديد للهوية متأثرين بالعولمة التي شملت جميع الميادين. ولعل من أبرز الملابس التي لازالت تستعمل في المنطقة وحتى مناطق أخرى في الجزائرما يلي:

أ- **القشابية:** وهي لباس شتوي بامتياز، منسوجة من الوبر أو الصوف أو حتى المزج بينهما وهي لباس مغلق يحيط بلابسه وذا كُمّين طويلين. أما الألوان فهناك الوبري البني "الأشعل" كما أن هناك المصنوعة من الصوف ذات اللون والرمادي والأبيض وزبد الغدير الخ ....وتتميز منطقة مسعد بأنها المدينة الرائدة في هذا النسيج ذلك أن العديد من الحرفيات والحرفيين يشتغلون على هذه الحرف النسيجية كما أن هناك مناطق أخرى كزكار الجلفة و بوسعادة الخ...

ب- **البرنوس:** يشبه كثيرا القشابية إلاّ انه رداء مفتوح بدون اكمام ملتصق ب قبعة على شكل قمع تسمى "قلمونة" ولعل البرنوس الوبري البني "الأشعل " هو علامة مميزة وفريدة لمنطقة أولاد نايل والجزائرعموما.

ومما جاء في الشعر الشعبي الملحون للمنطقة حول البرنوس للشاعر داودي الطاهر

عدّيت اللّبسة وخصّصت البرنوس وما جابش خبرو اللّي عد معايا

تفقدتو في جيلنا ماهو ملبوس ورضينا نمشو بلا بيه عرايا

ترّاس بلا بيه خيّالو مسّوس في العين يحسّوه ماكان حكاية

رمز النّيفيّة اللّي ضاري محروص لبسوه اجدادي ولبسو بابايا

من هانو بكري توالاه الدّبّوس وعطاوه قيمة وزادوه شناية

بكري كانت شيعة الرّاجل برنوس من وبري لنياق مقلوع هنايا

زوج على لكتاف والثالث مدسوس ولون فريد يعود ماهوش كفاية

أبيض للنّعجة الصّوف اللّي مقصوص وفوقاني وبري الحر مع ذايا

ت- **القندورة:** وهي عباءة من قطعة واحدة وهي ثوب طويل ومفتوح من الأمام بدون أكمام، به تقويرتين لإمرار الذراعين [18] و تخاط من القماش الخالص عادة أو الصوف وتغطي كامل الجسم، وهي فضفاضة وأحيانا نجدها " نصف كم " وهي لباس بسيط جدا للكبار والصغار ولمختلف طبقات المجتمع مع اختلاف في نوع القماش أو طريقة الخياطة، وتلبس عادةً صيفاً، وهناك من يرتديها على الدوام وخاص البدو.

ث- **البدلة العربية** "الكوستيم العربي": وهي بدلة من نوع قماش واحد ولون واحد ذات ثلاث قطع وأحيانا تلبس قطعتين فقط:

البدعية: وهي صدرية أو سترة وتسمى محليا ب" الجيليّة" نسبة الى الكلمة الفرنسية gilet وهي قطعة تخاط بدون أكمام وذات أزرار كما تحوي عادة جيبين صغيرين .

السروال العربي: "سروال بالحِجْر" وهو سروال عريض جدا وفضفاض حتى يلائم الجلوس وركوب الخيل ويتم كيّه وتوظيبه ليكون عادة على شكل خطوط طولية .

السترة: وتسمى بالعامية "فيستة" بها أكمام طويلة وأزرار وحتى جيوب.

ج- **القميص العربي "القمجة"**: وهي قطعة من رفيف القماش الناعم تخاط بشكل يشبه القميص الحالي العصري، إلا أنها أطول وبدون ثنيتي الرقبة ولها كُمّان طويلان.

- **3-4 لباس القدم:**

أ- **الحذاء الطعبي**: وتعود تسميته نسبة الى عرش أولاد طعبة "فرقة من أولاد نايل" الذين يمتلكون حرفيين لازالو يصنعونه ويلبسونه، وهو حذاء يصنع من الجلد الخالص أو ما يعرف محليا بـ"الشرك" وقفله من النوع نفسه لونه عادة أصفر الى بني مصفر ويكون مطرز بأشكال وزخارف هندسية

ب- **البُلغة** : وهذا اللفظ مأخوذ عن اللغة التركية ويطلق على النعل الذي يلبسه الرجل ويتكون من جيب يضم مشط الرجل،بينما يكون القدم ظاهرا [19] ، وتسميته المحلية "البُلقة" أو الريحية وهي نوع من النعال التقليدية يشبه الطعبي صنعا ومادة ولا يتجاوز الكعبين، وبدون قفل (سير).

ت- **البست**: وهو كلمة فارسية معرّبة وهي نوع من الأحذية الشبيهة بالجوارب من الجلد الخالص يتم لبسه مع البُلقة أو الريحية ويلبسه الوجهاء أو الفرسان،

5-العمامة في بلاد أولاد نايل:

- **1-5 العمامة وأسمائها المحلية في بلاد أولاد نايل:**

عرفت العمامة بعدة اسماء محلية لكن أشهرها على الاطلاق اللحفاية وهناك من يرى بأنها من الفعل تلحَّفَ يتلحَّف، تلحُّفًا، فهو مُتلحِّف، والمفعول مُتلحَّفٌ به • تلحَّف فلانٌ: التحف؛ اتّخذ لنفسه لحافًا، وهو ما يُتغطَّى به من البرد. • تلحَّف باللِّحاف وغيرِه: التحف به؛ تغطَّى به.[20] وعلى الرغم من عدم الجزم في أصل الكلمة

إلاّ ان أقرب من الفعل يتلحى، والتلحي هو تطويق العمامة تحت الحنك وهو أحد هيئات التعمم. كما وردت أحيانا باسم العمامة أو الشاش.

ومما جاء في الشعر الملحون للشاعر:داودي الطاهر:

الرّاجل تلقاه تحفة بالبرنوس *** ووش نقلك كان دار اللّحفاية

و من قصيدة عام "الشر" و"البون "الشاعر علي بن السايح عام 1944

يا ربي رانا قبالك عريانين ***كلّش بأمرك يا داري مولايا

برنوس القليل ولّى بالألفين *** لا قندورة باينة لا لحفاية

اتعرّينا والدراهم ميجودين *** ولّينا للباش درناه عباية

- **5-2العمامة في الفترة الاستعمارية وبعيد الاستقلال في بلاد أولاد نايل:**

بقيت العمامة حاضرة من خلال المصادر وحتى اللوحات والصور التي تحدثت عن لباس الأمير عبد القادر وجسدته وكذا الألبسة في فترة الثورات الشعبية عبر مختلف أرجاء البلاد ،كما يجب التنبيه أن الشيخ محمد بن العربي بن إبراهيم "بوعمامة" أحد كبار المقاومين عرف بلبسه العمامة و هناك من يرجح ان كنيته ببوعمامة بسبب لبسه العمامة.

كما ان فترة المقاومة في بلاد اولاد نايل بداية بمقاومة الشيخ موسى بن لحسن المدني الدرقاوي (1831،1849) والامير عبد القادر والزعاطشة والأغواط وأخرى التي شارك فيها أولاد نايل بقيادة سي الشريف بلحرش خليفة الأمير عبد القادر بمنطقة الجلفة، والتلي بلكحل "شيخ المقاومين" والطيب بوشندوقة والتي وتميز فرسانها وأفرادها ببسالة وشجاعة منقطعة النظير كما تميزوا بلباسهم العربي عموما والعمامة خصوصا ذلك أنها كانت قطعة أساسية في اللباس .

كما يلاحظ أنه حتى القياد والباشاغات وعلى الرغم من أنهم كانوا يمثلون السلطة الاستعمارية إلا أن اللباس العربي ظل يميزهم عن السلطة والادارة الاستعمارية العسكرية والمدنية ومنها العمامة الا أنها اتخذت شكلا مميزا وتسمى "القنور" وهي عمامة فخمة مزينة بخيوط.

وللعمامة في الجزائر عدة أسماء محلية فهي تسمى اللحفاية ،العمامة، الكمبوش، الكلاح، التوتية، الشاش، الحوّاق، تجلموست،الكرزية الخ...

6- العمامة رمز للهوية والمقاومة الثقافية في عصر العولمة:

لاشك أن البيئة والمناخ يؤثران بشكل مباشر في تحديد نوعية الملابس التي تتميز بها الشعوب ويفرض المناخ -الذي يسود البلاد خلال فصول السنة من برودة أو حرارة أو اعتدال- على السكان اختيار ملابس بعينها تقيهم الحر والبرد، وقد استمر أولاد نايل في لبس مختلف أنواع اللباس الخاص بالمنطقة مع المحافظة على لبس العمامة "اللحفاية" وخاصة البيضاء وذلك لأن غطاء الرأس للرجال أمر موروث عن الأجداد و تحتمه العادات الاجتماعية وحتى الجانب الديني وخاصة أن المنطقة تعج بالزوايا وطلبة القران، وقد كان يُنظر- الى وقت قريب جدا- للشخص الكاشف رأسه نظرة استخفاف واحتقار واستهجان، وأحيانا يتهم من لا يلبسها بعدم النضج والانسلاخ عن هويته وقلة رجولته وهي في الحقيقة هذا موقف قديم للعرب ذلك أنّ كشف الرأس يعتبر من خوارم المروءة ، إلا أن هذه النظرة تغيرت تماما في أيامنا هذه بفعل عدة عوامل تجسدت عامة في مختلف مظاهر العولمة وانعكاساتها مباشرة على طرق العيش وكذا اللباس .

لم يقتصر لبس العمامة فيما مضى على الأئمة، أو المتصوفة أو المشتغلين بالأمور الدينية، بل كانت زياً عاماً للجميع تقريباً ومما يمكن ملاحظته أنه تقلص لبس العمامة في المدن بشكل كبير و أنه أصبح من النادر مشاهدة رجل يتعمم بالعمامة وخاصة بين فئة الشباب، فقد أصبح لبس العمامة مقتصرا على فئة قليلة جدا من كبار السن، والأئمة وطلاب الزوايا وفئة قليلة جدا الشباب اللذين يعتزون باللبس العربي، وخاصة العمامة

ولعلنا هنا نستذكر ما ارتجله الشاعرالجزائري محمد العيد آل خليفة عندما ركب حافلة في الجزائر، وكان مرتديا ملابسه العربية التقليدية، كان جميع من في الحافلة يرتدون الزي الافرنجي.

ما في الجزائر مجلس ألهي به ...*... نفسي وأستهوي إليه فؤادي

أمسيت لا منها ولا من أهلها ...*... والقوم قومي والبلاد بلادي

تجدر الاشارة الى انتشار لبس العمامة وحتى الأزياء العربية بقي أكثر في البوادي و الأرياف والقرى أكثر منه في المدن وهذا يدل على وظيفيتها من جهة و محافظتهم على ارث أجدادهم من الضياع والاندثار و مدى اعتزازهم وحبّهم لعمامة رسول الله من جهة أخرى.

خاتمة:

يكون النايلي في أبهى الحلل والأناقة وهو يرتدي زيّه التقليدي الكامل، الذي يعرف به بين غيره، ويعطيه مقامه الاجتماعي ومكانته بين أهله وناسه هذا ما يروجه كبار السن والوجهاء في المجتمع النايلي، لكن تحديات التنشئة الاجتماعية في كل مناحي الحياة وتصادم الأجيال وكذا أسلوب العيش الحديث عجّل بحدوث قطيعة نسبيا مع اللباس التقليدي في بلاد أولاد نايل، لكن الاستثناء تصنعه العمامة اذا لاحظنا أن المجتمع البدوي حافظ على العمامة حتى ولو كان لباس باقي أجزاء الجسم عصريا ، أما في المدن فقد بقيت العمامة تلبس من طرف كبار السنة والائمة ومرتادي الزوايا والمساجد وقدماء التجار والمجاهدين، أما الشباب والكهول والأطفال ففي المناسبات والأعياد الدينية والمناسبات الثقافية .

وعلى الرغم من تحديات العولمة ومغريات الحداثة والصراع القيمي لدى الشباب وأثره على التراث الملبسي عموما فإن مستقبل لبس العمامة في بلاد أولاد نايل لا يبعث على القلق من خطر الاندثار لأن هناك عوامل تساهم في بقاء لبسها وصمودها، ولعل طبيعة المجتمع البدوي لبلاد أولاد نايل وخاصة في البوادي والقرى والأرياف وانتمائه ونظرته إلى الأناقة والجمال ميالة للعمامة، وكذا حاجة الفرد لحماية رأسه من عوامل الطقس والطبيعة كما أن جانب التدين يلقي بظلاله كون لبس العمامة يعتبرسنة وتأسيا برسول الله صلى الله عليه ولعل كثرة الزوايا في بلاد أولاد نائل عامل مهم في استمرار و توريث هذا اللباس الجميل كما يعتبررمزاً ثقافياً وإعلاناً عن الهوية.

الملاحق:

(الصورة1) : حاكم أو ملك يرتدي عمامة (من كتاب Recovering the Lost City of Adab)

(الصورة 2): الملك قوديا الاكادي مرتدي عمامة
(من كتاب Art of the Ancient Near East ص71)

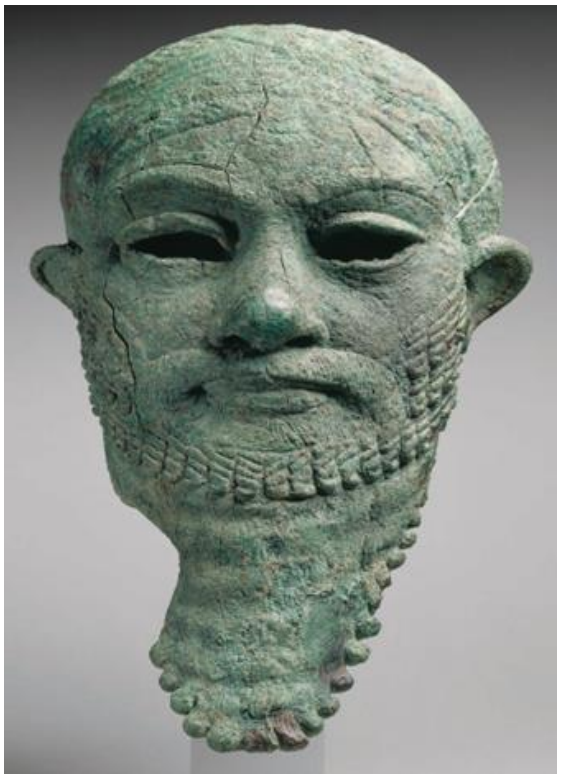

(الصورة 3) : ملك اكادي يرتدي عمامة
(من كتاب Art of the Ancient Near East ص73)

الصورة 4 :بطاقة بريدية تمثل مظهر عام لساحة السوق بالجلفة (ارتداء العمامة السمة الواضحة)

الصورة 5 :الامام الشيخ عطية مسعودي برفقة بعض أئمة (ارتداء العمامة السمة الواضحة)

الصورة 6 :الفارس الحاج البهلول محمدي فارس أولاد سي أحمد –أولاد نايل (ارتداء القنور عمامة الفارس)

(من واجهة كتاب Le grand livre du cheval en Algérie)

الصورة 7 :بياز من أولاد نايل (ارتداء القنور)

الصورة 8 :أحد شيوخ أولاد نايل (ارتداء اللحفاية والمظل)

المصادر والمراجع:

1- أبو عبد الله محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية. زاد المعاد الجزء الأول ،ط 3 الرسالة 1998 بيروت لبنان ص-ص 131،130

2- أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، البيان والتبيين، (تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون) مكتبة الخانجي القاهرة، ط7 ، 1998 ص 100

3- أبي سعيد عبد الملك بن قريب بن عبد الملك الأصمعي(تحقيق: أحمد محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون) ، الأصمعيات، ط 5 بيروت لبنان ص 17

4- أحمد مختار عمر،معجم اللغة العربية المعاصرة ، المجلد الثالث، عالم الكتب – القاهرة، ط1 ،2008 ، ص ص 1557-1558

5- بدري محمد فهد، العمامة،مطبعة الحكومة بغداد،1968 ص:7،8،13،14

6- يحي الجبوري، الملابس العربية في الشعر الجاهلي.، دار الغرب الاسلامي لبنان، طبعة 1989، ص: 5،12،13

7-محمد فارس الجميل، اللباس في عصر الرسول، الحولية 14، حوليات كلية الاداب جامعة الكويت، ط 1994 ص 14

8- سالم سالم شلابي، المستعمل من الألبسة الشعبية في طرابلس،دار الكتب الوطنية بنغازي -ليبيا 2006 ص:34، 177

9- رينهارت دوزي، المعجم المفصّل بأسماء الملابس عند العرب، الدار العربية للموسوعات بيروت-لبنان ط 1 ، 2012 ص:259، 277

10- Karen Wilson, with Jacob Lauinger, Monica Louise Phillips, Benjamin Studevent-Hickman, and Aage Westenholz Bismaya: Recovering the Lost City of Adab, Oriental Institute Publications volume 138 chicago, Illinois 2012 pp 285-286

11- Benzel, Kim, Sarah B. Graff, Yelena Rakic, and Edith W. Watts Art of the Ancient Near East: A Resource for Educators (2010) pp 70,73

الهوامش :

1 أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاص،المجلد الثالث، عالم الكتب – القاهرة،ط 1 ، 2008 ، ص ص 1557-1558

2 يحي الجبوري، الملابس العربية في الشعر الجاهلي.، دار الغرب الاسلامي لبنان، طبعة 1989، ص 5.

[3] Karen Wilson, with Jacob Lauinger, Monica Louise Phillips, Benjamin Studevent-Hickman, and Aage Westenholz Bismaya: Recovering the Lost City of Adab, Oriental Institute Publications volume 138 chicago, Illinois 2012 pp 285-286

[4] Benzel, Kim, Sarah B. Graff, Yelena Rakic, and Edith W. Watts Art of the Ancient Near East: A Resource for Educators (2010) pp 70,73

5 يحي الجبوري،مرجع سابق، ص ص 12-13

6 أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، البيان والتبيين، (تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون) مكتبة الخانجي القاهرة، ط7 ، 1998 ص 100

7 بدري محمد فهد ، العمامة،مطبعة الحكومة-بغداد، 1968، ص7

8 محمد فارس الجميل، اللباس في عصر الرسول، الحولية 14، حوليات كلية الاداب جامعة الكويت، ط 1994 ص 14

9 بدري محمد فهد ، مرجع سابق ص 8

10 أبو عبد الله محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية. زاد المعاد الجزء الأول ،ط 3 الرسالة 1998 بيروت لبنان ص-ص 130،131

11 يحي الجبوري، مرجع سابق، ص 13

12 أبي سعيد عبد الملك بن قريب بن عبد الملك الأصمعي(تحقيق: أحمد محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون) ، الأصمعيات، ط 5 بيروت لبنان ص 17

13 بدري محمد فهد، مرجع سابق ص-ص 13،14

14 نفسه ص 15

15 أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، مرجع سابق ص 100

16 رينهارت دوزي، المعجم المفصّل بأسماء الملابس عند العرب، الدار العربية للموسوعات بيروت-لبنان ط 1 ، 2012 ص 277

17 سالم سالم شلابي، المستعمل من الألبسة الشعبية في طرابلس،دار الكتب الوطنية بنغازي -ليبيا 2006 ص 177

18 رينهارت دوزي مرجع سابق ص 259

19 سالم سالم شلابي،مرجع سابق، ص 34

20 أحمد مختار عمر، مرجع سابق ص 1998